الكلية : الآداب

القسم او الفرع : التاريخ

المرحلة: الماجستير

أستاذ المادة : أ.م.د علاء مطر تايه

اسم المادة باللغة العربية : تاريخ المشرق الاسلامي في العصر العباسي

اسم المادة باللغة الإنكليزية : History of the Islamic East in the Abbasid Era

اسم المحاضرة السابعة باللغة العربية: الامارة الصفارية(254هـ ـ 296هـ)، عوامل قيامها على يد يعقوب بن الليث الصفار

اسم المحاضرة السابعة باللغة الإنكليزية : The Saffarid Emirate(254 AH - 296 AH), the factors that led to its establishment at the hands of Ya`qub ibn al-Layth al-Saffar

كانت البداية الحقيقية لظهور يعقوب كرجل له دور في منطقة المشرق الاسلامي عندما انضم بمؤيديه الى صالح بن نصر الكناني، الذي أخذ على عاتقه محاربة الخوارج وإعادة الهدوء الى منطقة سجستان ، وكان صالح هذا يقود جماعة من المتطوعة، وقد أثبت يعقوب في هذه الأحداث حنكة وقوة، الأمر الذي دفع صالح بأن يتخذ منه نائباً له أو كما يقول ابن الاثير: «وجعله صالح مقام الخليفة عنه.»(١٨) وتمكنا من احتلال مدينة بست، ثم توجها الى سجستان وطردوا منها والي الطاهريين وهو ابراهيم بن الحسين. ويبدو أن حلفاء الأمس قد دب بينهم خلاف بسبب تصرفات صدرت من جماعة صالح الكناني كاثارة الفوضى والاضطرابات في سجستان، والقبض على زمام الأمور في سجستان وكسر السجون وانتهاب مافي الخزائن من أموال وتقسيمها على بعضهم البعض وعلى من يناصرهم من الناس.

هذه التصرفات لم يرضى عنها يعقوب فانشق بمؤيديه وواصل القتال ضد الخوارج، الأمر الذي أضعف جبهة صالح الذي هزم على يد طاهر بن عبدالله ومقتله عام ٢٣٧هـ(٢٠) وخلفه درهم بن الحسين على قيادة الجماعة، وهنا انضم يعقوب برجاله الى درهم بن الحسين، وأصبح يعقوب حاكماً لمدينة بست بعد أن تمكن درهم من الاستيلاء على سجستان بصفة نهائية(٢١) ليصبح والياً لها.

وقد تداخلت الأحداث في فترة لاحقة أدت الى اختفاء درهم بن الحسين وظهور يعقوب كقائد للمتطوعة، ويرى بعض المؤرخين أن الجند هم الذين أسقطوا درهم لعدم مقدرته وعينوا مكانه يعقوب لكفاءته ومقدرته(٢٢)، هذا بينما يرى البعض الآخر أن درهم تأمر على يعقوب الذي تمكن من كشف المؤامرة وتخلص من درهم.

استمر يعقوب في حربه ضد الخوارج، فأكثر فيهم القتل وأنزل بهم هزائم متتالية (٢) حتى كاد يفنيهم وخرب قراهم، ويذكر ابن الاثير أن أصحاب يعقوب في كل هذا أطاعوه طاعة لم يطيعوها لأحد كان قبله(٢٤) فارتفع شأنه وقويت شوكته، لكنه رغم هذا فقد تحاشي الاحتكاك بوالي خراسان حفاظاً على مشاعر الخلافة الأمر الذي دفع بها أن ترسل له تقليداً تعترف به والياً على سجستان(٢٥)، ولم يحاول الاحتكاك بالطاهريين طوال فترة حكم طاهر بن عبدالله نظراً لقوة طاهر وتمكنه من القبض على ناصية الأمور في المنطقة.

الاستيلاء على أملاك الطاهريين

توفي طاهر بن عبدالله عام ٢٤٨هـ وتولى مكانه ابنه محمد الذي لم يكن على نفس المستوى الذي كان عليه والده، بل كان أقل قدرة كما أن بعض المصادر وصفته بأنه ضعيف السياسة والتدبير مهملاً لشئون رعيته(٢٦)، قليل الخبرة تنقصه الممارسة، فاستغل الخوارج فرصة ولايته ليوسعوا دائرة تمردهم وثورتهم، بعد أن لاذوا بالصمت في فترة ولاية والده (٢)، فقام يعقوب بمهاجمتهم ومطاردتهم من جديد، وذلك بعد أن سمح له محمد بن طاهر بهذا حتى تمكن من ابعادهم عن سجستان. ويبدو أن ثمة علاقة كانت تربط يعقوب بالخوارج في أول الأمر، ولكن هذه العلاقة تغيرت الى عداء مستحكم والدليل على علاقتهم في أول الأمر أن يعقوب أرسل الى عمار الخارجي زعيم الخوارج في سجستان يقول له: «لعلك تعلم أن حمزة بن عبدالله الخارجي لم يقصد اطلاقاً الأضرار بسجستان وأهلها، وإنما كان خروجه على الخلافة وعمالها ... والآن وقد تغير الوضع ولتضمن سلامتنا وأمننا سوياً فانهض مع جيشك وضع يدك في يدنا.» والملاحظ على رسالة يعقوب هذه، أنها كانت تركز على الأهداف السياسية والاقليمية وهي التعاون من أجل سجستان وأخذها من الخلافة بعد طرد عمالها، ولم يتعرض لمبادئ الخوارج أو مذهبهم، لكن كلاهما كان يشك في نوايا

الطرف الآخر، بدليل الهجوم المباغت الذي شنه يعقوب على قوات الخوارج وهزيمتهم هزيمة مروعة دفعت بزعيمهم عمار الى الانتحار في عام ٢٥١هـ ويبدو أن حركة الخوارج بعد هذه الواقعة لم تقم لها قائمة وأصبح رجالها تحت زعامة يعقوب.

وبعد أن تمكن يعقوب من هزيمة الخوارج تفرغ لتوسيع ممتلكاته، فانطلق من سجستان الى هراة وكان واليها محمد بن طاهر وينوب عنه هناك محمد بن أوس، فهزم ابن أوس ودخل يعقوب الى هراة ومنها الى بوشنج في عام ٢٥٣هـ (٢٨). واستقر يعقوب في هذه المناطق وأخذ يقوي قبضته في مناطق جديدة وينشر فيها العدالة والأمن، الأمر الذي دفع بالناس هناك أن يقفوا الى جانبه، ثم أخذ يعقوب يتطلع الى توسيع ممتلكاته على حساب منطقة خراسان قاعدة الدولة الطاهرية(٢١)، وكانت الظروف مناسبة، فيعقوب يحكم منطقة مستقرة هادئة، والخلافة مشغولة بمشاكلها مع الأتراك الذين فجروا حرباً أهلية بين المستعين والمعتز، ونتيجة لهذه الظروف زحف يعقوب بقواته واستولى على مجموعة من المدن الهامة مثل طيسين وذابلستان والسند ومكران(٣٠)، ويذكر أن يعقوب عندما دخل الى بوشنج قبض على زعماء الاسرة الطاهرية هنا لأن هذه المدينة كانت مسقط رأس الاسرة، وهنا يعتقد ابن خلدون أن عام ٢٥٣هـ التي تجاوز فيها نفوذ يعقوب حدود سجستان كانت ابتداء دولته.

تأثرت الخلافة من الموقف الذي اتخذه يعقوب إزاء الطاهريين وطلب الخليفة المعتز منه أن يطلق سراح رجالات الطاهريين الذين وقعوا في الأسر، فاستجاب يعقوب لطلب الخليفة(٣٢)، وكان يهدف من وراء ذلك أن يبين للخلافة أنه لازال رغم قوته مطيعاً لها ومنفذاً لأوامرها.

ثم نجد يعقوب يتقدم بطلب للخليفة باعطائه ولاية كرمان(٣٤)، ويرسل للمعتز هدية سنية من جملتها مسجد فضة مفكك يصلي فيه خمسة عشر رجلا(٣٥). وكان والي فارس قد تقدم للخلافة في نفس الوقت يطلب ولاية كرمان أيضاً. ولما كانت علاقة الطرفين بالخلافة غير طيبة(36) فقد استغلت الفرصة لضربهما بعضهما ضد البعض الآخر، فأيهما هزم فهو في مصلحة الخلافة، وذلك لأن الطرف الذي سينتصر سيكون قد استنزف، وقد ذكر ابن الاثير ذلك صراحة عندما قال: «وكتب المعتز الى يعقوب بولايتها يلتمس بذلك اغراء كل واحد منهما بصاحبه ليسقط مؤونة الهالك منهما عنه، وينفرد بمؤونة الطرف الآخر)، إذ كان كل واحد منهما عنده حرباً له وفي غير طاعته.» وهكذا وافق الخليفة على اعطاء كل من والي فارس وكذلك يعقوب بن ليث ولاية كرمان. وأخذ كل منهما يعد للأمر عدته، وتقدم يعقوب برجاله الى كرمان وتقابل هناك مع طوق بن المغلى قائد علي بن الحسين صاحب فارس، أرسل طوق رسالة الى يعقوب يقول له: «أنت بعمل الصفر أعلم منك بعمل الحروب، نعظم (٣٨) الذي تقدم صوب قوات طوق وهزمه وأسره، وعندما علم علي بن الحسين ذلك على يعقوب بهزيمة رجاله كتب الى يعقوب يقول: «إن طرق فعل مافعل دون أمر مني ... وقال له إن كنت تطلب كرمان فقد خلفتها وراك، وإن كنت تطلب فارس فكتاب من أمير المؤمنين بتسليم العمل(٣٩) لأنصرف، ويبدو من الرسالة أن كفة يعقوب كانت راجحة وأن والي فارس أدرك عجزه عن مجاراة قوات يعقوب. ويبدو أن اتفاقاً لم يحدث بينهما رغم المراسلات وجرت معارك بينهما تمكن يعقوب بعدها من احتلال كرمان رسمياً في عام ٢٥٥هـ(٤٠)، ثم تقدم الى فارس وهزم قواتها وتمكن من أسر واليها علي بن الحسين(4) وعذبه واستخرج منه أموالاً بقيمة أربعين الف دينار، ثم استخرجوا منه أربعة آلاف الف درهم وجوهراً كثيراً(1)، ويذكر ابن الاثير أن يعقوب أخذ من أموال علي الف بدره وقيل اربعمائة بدرة، ومن السلاح والأفراس ما لايحد(13) وأرسل يعقوب رسله الى الخليفة يظهر له الولاء والطاعة وأهدى له هدية جليلة منها عشرة بيزان بيعي وبازاً أبلق صيني، ومائة من المسك وغيرها من لم يكتف يعقوب بذلك وإنما أرسل الى الخلافة يطلب منها أن ترسل

من ينوب عنها لاستلام منطقة فارس فوافقت الخلافة على هذه البادرة الطية خاصة وأن والي فارس السابق كان يماطل في إرسال الأموال للخلافة. الطرائف.

وبعد فترة فكر يعقوب في اعادة رجاله الى فارس ومعنى هذا أنه يفكر في طرد رجال الخلافة التي ما أن علمت بالأمر حتى أرسلت اليه تستنكر تراجعه وفي نفس الوقت عملت على استرضاءه، فأرسلت اليه تقليداً رسمياً بولاية سجستان وبلخ وطخارستان والسند والتي كانت تابعة لوالي خراسان(٤٠)، وقبل يعقوب هذا العرض مقابل تخليه عن فارس.

تقدم يعقوب بقواته تجاه كابل فاحتلها وأرسل منها الهدايا الى ان سيفة المعتمد ثم سار الى بست ومنها إلى زرنج وكان يعقرب خلال هذه الانتصارات قد أسر الحسين بن طاهر والي بوشنج وفشل محمد بن طاهر في اقناع يعقوب باطلاق سراح أخيه(41).